تربية الأبناء وتلقينهم أمور الدين

نبدأ بالقسم الثاني -وهو الأهم- وهو واجب الرجل نحو أسرته في الأمور الدينية، فنقول: إن هناك من وفقهم الله -تعالى- وقاموا بإصلاح ذريتهم، وهناك من أهملوا ذريتهم وأسرته، وهناك من سعوا في إفساد ذرياتهم وأسرهم. فيكون عندنا ثلاثة أقسام: القسم الذين أصلحوا أسرهم. والقسم الذين أهملوهم، ووكولوا تربيتهم إلى غيرهم، ويغلب عليهم الفساد. والقسم الذين أفسدوهم -أي- جلبوا لهم ما يفسدهم. فأما القسم الأول: وهو الذين أصلحوهم، فنذكر شيئا من الكيفية التي صاروا بها مصلحين؛ لعل هذه الصفة تكون قدوة، ويكون لكل مسلم أسوة بهؤلاء. كان الأولون يلقنون أولادهم العقيدة وهم أطفال، والطفل إذا كان في الثالثة من عمره، وصار يتكلم لفته أباه، لفتوه العقيدة، فيسأله، ثم يلقنه: يا بني، أو يا ابنتي من ربك؟ قل: ربي الله. ثم يقول: لأي شيء خلقك الله؟ قل: لعبادته. أو ما أول شيء فرضه الله عليك؟ قل: توحيدَه وطاعته، أو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله. بأي شيء عرفت ربك؟ ونحو هذه. ما دينك؟ من نبيك؟ وما أشبه ذلك. هذه إذا تلقنها العبد، تلقنها الطفل في صغره؛ فإنه ينشأ نشأة سالحة، يعترف بأن له رب خالق رازق، يعترف بأن الله -تعالى- هو الذي خلقه، وهو الذي رزقه، وهو الذي فرض عليه هذه الفرائض، وكلما كبر في السن الرابعة، في السنة الخامسة يكررون ذلك عليه، ويكررون عليه شرحها، ويضربون له الأمثال عليها، فيقولون -مثلا- من عبادة كذا وكذا، ومن طاعته كذا وكذا، ومما حرم علينا كذا، وكذا، حرم علينا كذا، وحرم علينا كذا؛ وبذلك يلقن الطفل في هذه السنين المبكرة هذه العقيدة، وترسخ في ذاكرته وفي قلبه، ولا يمكن أن تتغير. ثم بعد ذلك في السنة السادسة أو السابعة يلتحق الولد -ذكرا أو أنثى- بالمدارس التي تدرسه بالفعل، المدرسون يعلمونه، يعلمونه بالقول، فيلقنونه، يلقنونه هذه الأعمال، وبلقنونه هذه العقائد، ويعلمونه دينه وعبادته؛ ولكن هذا التلقين، وهذا التعليم قد لا يتصوره؛ لأن الطفل الصغير يخفى عليه الكثير من الكلمات التي تلقاها من المعلمين، ونحوهم، فلا بد أن أهله يقومون بتلقينه، ويقومون بتعليمه بالفعل، فإذا قال: يا ولدي، كم أركان الإسلام؟ سردها الولد؛ ولو كان عمره ست أو سبع سنين، فإذا قال: وأقام الصلاة ما كيفية إقامتها؟ هذه الصلاة، وهذا كيفية إقامتها، أي ثم إذا قال -مثلا- كم شروط الصلاة؟ سردها -أي- تسعة، هذه كيفيةها، من جعلتها؛ رفع الحذ، من جعلتها؛ الطهارة. هذه كيفية الطهارة يا ولدي، تطهر أي توحا، هذا كيفية الوضوء. فإذا علم ذلك فإنه بعد ذلك يعلمه بالفعل أركان الصلاة وواجباتها، فيأتي به إلى المسجد، فيقول: هذه أركان الصلاة، هذا هو القيام، وهذه قراءة الفاتحة في هذا، وهذه تكبيرة الإحرام، وهذا كيفية الركوع، وكيفية السجود، وما أشبه ذلك، يدرسه على ذلك في صغره. أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بتربية الأطفال على العبادة، ومن جعلتها؛ الصلاة، وقال -كما تعرفون- يقول: { مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع } هكذا أمر بتعليمهم الصلاة في سبع سنين؛ مع أنها ما وجبت عليهم؛ لأنه أقل ما يبلغ إذا كان ابن عشر سنين، فمعنى ذلك أنه إذا بلغ عشر سنين أمر بها، وضرب، وأدب. وأما قبل ذلك فإن تعليمه للتأديب، وكذلك للتحيب، وكذلك للتدريب؛ حتى يحبها، وهكذا. فهذا من جملة ما يربي به الوالد ولده، كذلك أيضا من جملة ذلك: تعليم القرآن. قد يقول: إن المدرسين يقرءونه، ويعلمونه في المدرسة، فنقول: صحيح أنه قد يقرأ، وقد يكتب؛ ولكن إذا خرج من المدرسة فإنه يغفل فيحتاج إلى أن والده يتابعه، فيقول: يا ولدي، كم حفظت؟ وما مقدار ما تحفظ من السور؟ وأعرض علي سورة كذا وكذا. ثم يناقشه -أيضا- ما معنى هذه الآية؟ وماذا تدل عليه؟ فيحبره -أيضا- على الحفظ، ويحثه على أن ينتظم في حلقات تحفيظ القرآن إذا كان هناك حوله حلقات تحفيظ القرآن، الطلاب الذين يقرءون فيها ويحفظون، ويحثه على ذلك ويتابعه ويشجعه؛ فذلك من أسباب صلاحه. وكذلك أيضا من أسباب صلاحه: تأديبه، وتعليمه آداب الإسلام، تعليمه -مثلا- إذا جاء من هو أكبر منه أن يحترم الكبير، وأن يبدأ بالسلام، وأن يحترم أبويه، وأما عمه، ونحوهم مما له حق عليه، ثم يدرسه على محبتهم، وعلى تقبيل رءوسهم، وعلى المصافحة، وعلى التحية، كيف تبدأهم بالتحية، بالسلام؟ وبالسؤال كيف أصبحت؟ أو أصبحت بخير، أو ما أشبه ذلك. وهكذا أيضا يكره إليه المحرمات؛ حتى ينفر منها، ويحذر... فيقول: يا بني، لا تسمع الأغاني؛ فإنها فتنة محرمة، ولا تحضر أماكن اللهو واللعب، ولا تحضر أماكن الزمر والمزامير، وآلات الطرب ونحوها، اعتصم عنها بسماع القرآن والذكر، والخير، والعلم -العلم النافع- وما أشبه ذلك. وهكذا أيضا ينفره من الأشياء الضارة التي تعاطبها يوقعه في الهلكة، أشد ذلك: شرب الدخان؛ فإنه إذا ابتلي به الأطفال فسدوا بمره، وكرهوا الخير وأهله، فبحذرهم. وهكذا أيضا بحث أولاده على الخير، وعلى مجالسة الصالحين، ويتفقد جلساءهم، من جلساؤك يا ولدي؟ فإذا ذكر لهم أولادا صالحين شجعوهم، وشجعوه وقالوا: لزم هؤلاء الذين يعلمونك ما تجهل، وبذكروك إذا نسيت، وبشجعوك على الخير، ويحثوك على العلم، ويحثوك على العمل. وهكذا أيضا يحذرهم عن جلساء السوء، وبين لهم أن جلساء السوء يسب في الانحراف؛ وسب في الفساد. فلهذا يحرصون على أن يتبعوا هؤلاء الصالحين، ويكون قرة عين؛ فإن الأبناء الصالحين يدعون الله، ذكر الله -تعالى- من دعائهم قولهم: { رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ } أي: ما تقر به أعيننا، إذا رأيناهم صالحين قرت أعيننا، وفرحنا بذلك، وسررنا بذلك؛ لأنهم إذا كانوا صالحين نفعونا في الحياة، ونفعونا بعد الممات، فيعرفون حق الوالدين، ويطيعونهم، ويطيعونهم في غير معصية الله، ويخدمون آباءهم، ويتأفون في خدمتهم، ويعرفون ما لهم وما عليهم، ويمتثلون ما أمرهم الله -تعالى- به في قوله تعالى: { فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا نَهْيٌ لَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخِصْ لَهُمَا حَتَاكَ الَّذِي مِنَ الرَّحْمَةِ } يقرأ هذه الآيات، ويعرف أنها يجب عليه أن يطبقها في حق أبويه ونحوهم، فهذا ما يجب عليه. كذلك أيضا لا شك أنه إذا صلح نفعه بعد موته، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- { إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له } خص الولد الصالح؛ وذلك لأنه إذا كان فاسدا فإنه لا يهتم بأبيه، ولا يهتم بأمه أبويه لا في حياتهما ولا بعد موتهما؛ إلا نادرا. فهذا من أسباب صلاح الذرية. ذكرنا أن الناس بالنسبة إلى تربية الأبناء، وأهل البيت ثلاثة أقسام: إنهم من القسم الأول، وهو أحسنها، ونرجو أن يكون إخواننا الحاضرون من هذا القسم الذين يحفظون أنفسهم، وأهلهم، ويحرصون على وقايتهم؛ لقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } يعني: أنقذوهم، أنقذوهم من هذه النار؛ وذلك بأن تركزوا العقيدة في قلوبهم، وترغبوهم في الخير والاستكثار من الحسنات. وكذلك أيضا تحذروهم من المحرمات التي تكون سببا في وقوعهم في عذاب الله تعالى، ينفر أحدهم بأنه عليه مسئولية كبيرة، يتذكر قول النبي -صلى الله عليه وسلم- { كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم } على أهل بيته، على نسائه، وعلى ذريته، وعلى أولاده، ونحوهم. بالنسبة إلى نسائه الذي يريد إصلاحهم فإنه -أيضا- يحافظ عليهم، يحفظ نساءه عما يفسدهن، فيعلمهن التعفف، ويعلمهن التكفف، وكذلك أيضا يصونهن، فلا يتصل بهن ذوق فساد، ولا يخرجن إلى أماكن شر وفساد، ولا يختلطن بنساء فاسدات، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، ولا يسمعهن غناء أو طربا، ويحمين عن مثل ذلك. فهذا من أسباب إصلاحهن، وحفظهن لأنفسهن. والقسم الثاني: هم أهل الإهمال. الذين إما أنهم فاسدون في أنفسهم، وإما أنهم صالحون؛ ولكن مهملون ومضيعون. يحدث هذا كثيرا؛ حيث إن أحدهم منشغل بدياره، منشغل بأعماله الدنيوية، فتراه يقوم في صباحه، يقوم في الصباح الباكر، ثم يتوجه إلى عمله، يتوجه إلى حرفته أو إلى وظيفته، ويبقى فيها إلى أن يخرج منها مرهقا -مثلا- في وسط النهار، أو في آخر النهار، ثم يريح نفسه بنام، ولا يهتم أمر أولاده، ولا أمر نسائه، ثم بعد ذلك في أول الليل يذهب مع أصدقائه، يبيت معهم، قد يكون على خير، وقد يكون على غير، فيقطع نصف الليل، أو ثلث الليل، أو ثلثه، ولا يأتي إلا في وسط الليل، ولا يسأل عن أهله، ولا عن ذريته، ولا عن نسائه. لا شك أنه إذا أهملهم فقد يتولاهم غيره، فإن كان هناك من يصلحهم تعاهدهم وصلحوا، وإن كان هناك من يفسدهم انحرفوا وفسدوا، إذا وفق الله تعالى ... وكانت تقية نقية عارفة بالخير، ربت أولادها، فصارت ترسلهم إلى المساجد، وتكلفهم بالعمل الصالح، وتربهم على الطهارة والنزاهة والنظافة، وتؤدبهم -أيضا- على الكلام، وتحذرهم من الكلام السيئ، ونحو ذلك. وكذلك قد يكون لهم قريب كآخ صالح كبير يتولى إصلاحهم؛ حيث إن والدهم منشغل عنهم، أو لا يكون لهم عم أو خال أو جد يكون صالحا؛ فيحرص على إصلاحهم فيصلحون بإذن الله -تعالى- وأبوهم لا يهتم -أي- لا يهتم صلاحهم، ولا يهتم انحرافهم؛ لأنه منشغل بنفسه، وقد يحب صلاحهم؛ ولكن يتعذر. ننصح كثيرا، ونقول: لا تهمل أولادك. فيقول: أنا منشغل، أنا عملي لا يسمح لي، أنا أذهب مكررا، وأشتغل بهذا العمل الذي أتكسب منه، وأحصل منه على قوتي، وقوت أولادي، فكيف أنفرغ لأولادي ولتعليمهم؟ نقول: إنك لست بمعذور، فلا بد أن تجعل لهم جلسة تجلسها معهم -مثلا- في يوم الجمعة الذي لا يكون عندك فيه عمل، أو في الصباح، أو في المساء، أو في وقت؛ ولو ساعة كل يوم تتفقد أولادك، وتلقنهم، وتعلمهم. والغالب أن الذين يهملون أسرهم لا يصلح أولئك الأسر؛ بل يفسدون؛ وذلك لكثرة المعربات؛ وكثرة آلات الفساد؛ وكثرة دعاء السوء؛ فلذلك يغفل عنهم ولا ينتبه؛ إلا وقد فسدوا، فيندم حين لا ينفذ الندم. فمثل هؤلاء علينا أن نتنبه من التمييز ما يعرفون به ما ينفع وما يضر، وإذا كانوا جهلة فإنهم سيبطلون من والدهم أشياء تكون سببا في الفساد، إذا رأوها عند غيرهم، فيقولون: يا والدنا، اسمح لنا أن نخرج إلى الممتزحات، نخرج حتى نرشف من أنفسنا، وإلى الاستراحات، وإلى القهوات. ثم ينتزل على ركبته، إذا خرجوا فمادوا تكون حالتهم؟ لا شك أنهم يفسدون؛ حيث إن تلك القهوي، وتلك الاستراحات، وما أشبهها مليئة بالدخان، ومليئة بالغنا، ومليئة بالمخدرات، ومليئة -غالبا- بالخمر والمسكرات، وما أشبه ذلك، وقد يكون فيها فعل الفواحش، فيها فعل الزنا، أو لواط، أو نحو ذلك مما هو محرر، ولا يشعر أنه إذا أذن لهم أفسدتهم وهو لا يدري. كذلك أيضا بالنسبة إلى أجهزة الاستقبالات الفضائية، القنوات الفضائية، يتخذ كثير من الأولياء -أولياء الأمور- إذا رأى عند فلان، وعند فلان أنه أدخل هذا الجهاز في بيته، فيقول: سأدخله؛ حتى أمتنع بما يتمتعون به، وأنظر إلى هذه الصور، وأسمع هذه الأخبار، وما أشبه ذلك. أو يكون أولاده قد راوا مثل هذه الأجهزة، وهذه الدشوش راوها في استراحات، أو راوها في قهوات ونحوها، فلا يزالون يطلبون من ولي أمرهم أن يركبها إن زودنا بما كان عند آل فلان، وآل فلان، فلا يدري أنه في هذه الحال يسعى في إفسادهم، وفي إفلالهم، فنقول: إن هؤلاء يفسدون ذرياتهم وهم لا يشعرون. كذلك أيضا لا شك أنهم إذا أرحوا لهم الأعتة، وتركوا لهم الحبل على الغارب، فصاروا يسبحون، ويترددون ويتسكعون في الطرق؛ فإنهم سيلقون من يفسدهم، وما أكثر آلات الفساد؛ وما أكثر الدعاة الذين يدعون إلى الشرور، ويدعون إلى الفساد؛ فيقعون في المنكر وهو لا يشعر، من ذلك: أنهم يسمعون الكلام السيئ فيتلقنونه، ربما أنهم يسمعون خلاطهم يسبون الدين، ويسبون المصلين، ويهزءون بالصالحين، فيكون ذلك دينا لهم، فيقعون في هذا الذي هو كفر، وضلال -والعباد بالله- متى ينقطع الطفل الذي عمره عشرة سنين؟ مكث عشرا أخرى وهو يخاطب فلانا الذي هو من أفسد الناس، ويخاطب فلانا الفاحش، أو ما أشبه ذلك، فيتلقنون الكلمات البذيئة. لا شك أنه إذا تربي على سماع الشتم، واللعن، والقذف، والعيب، والكلام السيئ أنه لا ينقطع عنه -غالبا-. وكذلك أيضا لا شك أنه إذا نشأ مع من يشككه في الصلاة فيقول: لا أهمية له -مثلا- في المسكرات، ويقول: رفق عن نفسك، وأطعم نفسك ما تشتهي؛ فإن هذا شيء لذيذ. ويقول -مثلا- نعم نفسك بسماع هذه الكلمات الرقيقة، وهذه الألحان الرخيمة. وما أشبه ذلك، متى يصلح إذا نشأ عند سنوطة وهو يخاطب من يفسده من هؤلاء؟ لا شك أن دعاة الشر كثيرين، وأنهم حريصون على أن يوقعوا من خالطهم في الشرور. فمنهم من يكون قد ابتلي بمحبة سماع الغناء فيجذب هذا الطفل وهذا الطفل إلى أن يكونوا معه، ومنهم من ابتلي بشرب الدخان فيجذب عشرات من الأطفال الذين يتصل بهم إلى أن يقعوا فيما وقع، فيكون الذنب ذنب الوالد الذي أهملهم، أو جلب لهم ما يفسدهم. فنقول: إن على الوالد مسئولية؛ حيث إنه تسبب في إصلاح أو في إفساد ذريته، فقلبه إن ينتبه لذلك. كذلك أيضا لا شك أنه إذا لم يتعاهدهم ويراقبهم، وجدوا من يربيه على غير التربية السالحة، فمن ذلك: واجب عليه إذا بلغ الولد الذكور، وطلبوا النكاح وكان قادرا أن يعفهم وأن يزوجهم؛ فإن الدوافع كثيرة؛ لأن هؤلاء الأولاد إذا بلغوا وصاروا يشاهدون العورات، ويشاهدون الدعايات، ويسمعون الأغنيات، ويجالسون من يدفهم إلى هذه المحرمات فلا يؤمن أن يفسدوا، وأن يقعوا في الزنا، أو مقدماته، ونحو ذلك. والواقع يشهد بذلك... فقبل ثلاثة أيام أو أربعة كنا في قرية من هذه القرى التي على الساحل، وكانوا -جزاهم الله خيرا- قد جعلوا دعويا، ثم جعلوا في جانبها تعليما فعليا؛ بحيث إن الذي يدخله ينظر نظرا عين أسباب الصلاح، ثم ينظر في الوسط أسباب الفساد، ثم ينظر بعد ذلك أسباب الخلاص. صور -يعني- مثلها، كان من جعلتها؛ أن ذكروا أن شابا كان في ريعان عمره، أدخل أبوه في بينهم جهاز هذا الاستقبال الذي هو الدشوش، وثار الشهوة لما أنه يرى هذا المنكر، يرى هذا المنكر الكبير -والعباد بالله- يرى الرجل يجامع المرأة، يرى عورة هذه المرأة، قد أبدت سوتها، فلم يكن بد من أن تندفع به شهوته؛ حتى وقع على أخت له -والعباد بالله-. هكذا ذكروا ذلك، وذكروا أشياء تقشعر منها الجلود من آثار أولئك الدعايات، من آثار هذا الفساد. فنقول: إن علينا أن نتنبه هؤلاء الذين يدعون هذه الدعايات، ويوقعون أولادنا في هذه المحرمات. كذلك أيضا بقي كلمة، تأتي بها بعد الأذان.